الحلقة الثانية

قصص السيرة

القصص الديني

غزوة بدر

١٤

عبد الحميد جودة السحار

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ ولَقَدْ نَصَرَكُم اللّه بِبَدْرٍ وأنْتُمْ أذِلَّة ، فاتّقُوا اللّـهَ لَعَلّكم تَشْكُرُون ﴾ .

(قرآن كريم)

١

بلَغَ أهلَ يثربَ (المدينة) أنَّ رسولَ اللّه قدْ خَـرَجَ من مكـة ، فكـانوا إذا صَلّـوا الصُّبـحَ يَخْرُجُـونَ إلى ظاهِرِ المَدينة ، وينتظِرُونَ قُدومَ محمَّدٍ ﷺ ، حتـى إذا اشـتَدَّ الحـرُّ عـادُوا إلى بِيُوتهـم وقَـدْ عَزَمُـوا علـى أن يخرُجُوا لاستِقْبالِه فى اليومِ التّالى .

وفى أحَدِ الأيام خـرجَ الرِّجـال ، وسـارُوا مسـافَةً طويلة ، ليقابِلُوا رسـولَ اللّـه ﷺ ، ولكـنَّ الشَّـمس اشتدَّت ، ولم يظْهَرْ رسولُ اللّه ، فعادُوا إلى بيوتِهم ؛ وإذا بصوتٍ يصيح :

ـ هذا رسولُ اللّهِ قد جاء .

ـ فخـرجَ النـاسُ مسـرِعينَ لاسـتقْبالِه ، وراحُـوا

يصيحُونَ في فرح :

ـ جاءَ نبيُّ اللّه ، جاءَ نبيُّ اللّه .

وسارَ النبيُّ وأبو بكر بين الناس ، والتفَّتِ الجُموعُ حولَه ، يُسَلِّمُون عليه ، وصَعِدَت النِّساءُ فوقَ سُطُوحِ البُيوت ، ويَقُلْن :

ـ أيُّهم هُو ؟

ـ أيُّهم هُو ؟

وارْتَفَعَتِ الأَصواتُ مُجَلْجِلَةً في المدينة :

ـ اللّه أكبَر ! جاءَ رسولُ اللّه . اللّه أكبر ! جاءَ محمَّد . اللّه أكبَر ! جاءَ رسولُ اللّه . اللّه أكبر ! جاء محمَّد .

وأخذَ الصِّبيانُ والنِّساءُ يقلْن :

طلَعَ البَدْرُ علينـــا — من ثَنِيَّـــاتِ الوَدَاعِ

وجَبَ الشُّكرُ علينا — ما دَعـــا للّه داعِ

أيُّها المَبْعُـوثُ فِينَـا — جِئْتَ بالأمْرِ المُطَاعِ

ودخلَ محمَّدٌ ﷺ يثرب ، وعُرِفتْ منذُ ذلك اليوم بمَدِينةِ الرَّسول .

٢

نَزَلَ النَّبيُّ ﷺ المدينة ، فالتفَّ حولَه المُهاجِرُون والأنصار ، فآخَى بينَهم ؛ كان يُؤاخِي بينَ واحِدٍ من المُهاجِرينَ وواحِدٍ من الأنصار ، فالرَّجُلُ الذى هاجَرَ فى سبيلِ الله تركَ مالَه فى مكَّة ، وليسَ له مكانٌ يبيتُ فيه . فكان على رجالِ المدينة أن يُؤوُوا مهاجِرِى مكة ، وأن يُعاونوهم على العَيش ، حتّى يستقِرُّوا فى المدينة ، ويَجِدُوا لهم عملا .

وكانَ مُهاجِرُو مكةَ قدِ اعتادُوا جَفافَ جَوِّها ، فلما عاشُوا فى المَدِينةِ مَرِضُوا ، وقَدْ مَرِضَ بلالٌ وأبو بكرٍ ، فدخَلَت عليهما عائِشةُ بنتُ أبى بكرٍ

تعودُهما ، فقالت لهما :

ـ يا أبتِ كيفَ تجدُك ، ويا بلالُ كيف تَجدُك ؟

فذكرَ لها أبو بكرٍ وبلالٌ أنهما يحِنّانِ إلى مكة ؛ كانت مكة وطَنَهم ، فكانوا يُحِبُّونَها ؛ على الرَّغم من أنَّ أهلَ مكة اضطهدوهم وعَذَّبُوهم ، وأنَّ أهلَ المَدِينة استقبَلُوهم استقبالا حَسَنا ، فما كان الوطنُ يهُونُ على أهْلِه ؛ فَذهَبَتْ عائشةُ إلى النَّبيّ ، وكانتْ قَدْ تزوَّجَتْه ، وقالت له : إنَّ أبا بكرٍ وبلالا يَحِنّانِ إلى مكة . فقال رسولُ اللّه ﷺ :

ـ اللَّهُمَّ حبِّبْ إلينا المدِينة ، كحُبِّنا مكة أو أشدّ .

٣

كانَ المُسلِمُونَ يَجتَمِعُونَ فى المَسجِدِ قبل ميعادِ الصَّلاة ، لأنهم كانوا يخافُونَ أن تفوتَهم ، وكانوا

يأْتونَ منْ أنفسِهم ، فما كانَ هناكَ ما يدعوهم إلى الصَّلاة ، فرأى رسولُ اللّه أن يجعَلَ بُوقًا كَبُوقِ اليهودِ الذى يدعُونَ به لصلاتِهم ، ولكنّه كرِه ذلك ، ورأى أن يدعُوَ الناسَ إلى الصَّلاةِ بالنَّاقُوس ، كما يفعَلُ النّصارَى ؛ وأمَرَ بالنّاقُوسِ فنَحِتَ ، لِيُضرَبَ به للمسلِمينَ للصَّلاة ، وبينَما رسولُ اللّه فى المسجِد ؛ جاءَه رجُلٌ وقال له :

ـ يا رَسُولَ اللّه ، رأيتُ فى المَنام ، رجُلاً عليه ثوبَانِ أخضَران ؛ يحمِلُ ناقُوسًا فى يدِه . قلت : « يا عبدَ اللّهِ أتَبيعُ هذا النّاقوس ؟ فقال : « وما تَصْنَعُ به » ؟ قلت : « ندعُو به إلى الصَّلاة » . قال : « ألا أدُلُّكَ على خيرٍ من ذلك » ؟ قلت : « وما هو » ؟ قال : « تقول : اللّه أكبَر . اللّه أكبَر ، اللّه أكبر . أشهَدُ أن لا إلَه إلا اللّه ، أشهدُ

أن لا إلَه إلاّ اللّه . أشهدُ أنّ محمَّدًا رسولُ اللّه ، أشهدُ أنّ محمَّدًا رسولُ اللّه . حيَّ على الصَّلاة ، حيَّ على الصَّلاة . حيَّ على الفَلاح ، حيَّ على الفَلاح . اللّه أكبَر ، اللّه أكبَر . لا إلَه إلاّ اللّه » .

فقالَ رسولُ اللّه :

ـ إنّها رُؤيا حقٌّ إن شاءَ اللّه ، فقُمْ مع بِلالٍ فألْقِها عليه ، فيؤذِّنْ بها ، فإنّه أنْدَى صَوتًا مِنك .

أذّنَ بلال ، فجاءَ النّاسُ من كلّ ناحية ؛ وسَمِعَه عُمَرُ بن الخطّاب وهو في بيتِه ، فخرَجَ إلى رسولِ اللّه ﷺ ، وهو يَجُرُّ رِداءَهُ ويقول :

ـ يا نبيَّ اللّه والذى بَعَثَك بالحقّ ، لَقدْ رأيتُ مثلَ الذى رأى .

فقال رسولُ اللّه ﷺ : « فلِلّهِ الحَمْد » .

سمِعَ رسُولُ اللّه أنّ أبا سُفيانَ مقبِلٌ من الشّـامِ فى تِجارَةٍ لِقُرَيش ، ولَمّا كـانت قُرَيش قد آذَتْـهُ هـو وأصحابَه واضطرّتهُم إلى الخُروجِ من مكة ، بعدَ أن تَركُـوا بهـا أموالَهـم وبُيُوتَهـم . قـال محمّـدٌ ﷺ لأصحابه .

ـ هذه عِيرُ قُريش ، فيها أموالُهم ، فاخرُجُوا إليها .

فخرجَ بعَضُ الأنصارِ والمُهاجِرين ، ليستولَوا علـى القافِلة ، التى كـان علـى رأسِها أبـو سفيان ، حتى يستَعِيضُوا عـن أمـوالِ المسـلمينَ التـى تركُوهـا مضطَرّيـن فـى مكـة . وكـان أبـو سُفيان يخشَـى أن يَغْزُوَه محمـد ، فكـانَ يتجَسـسَّ ويسـألُ النـاس عـن محمّد . قال له قائل : إنّ محمّدًا ﷺ قد خـرَجَ يغـزُو

قافِلَته ، فأرسَلَ أبو سُفيانَ إلى مكة رسُولا ، يُخبرُهم أنَّ أموالَهم فى خطَر ؛ فلمَّا وَصَلَ الرَّجُلُ إلى مكة ، قال :

- يا مَعْشَرَ قُريش ، أموالكم مع أبى سفيان ، قدْ عَرَضَ لها محمدٌ فى أصحابه ، لا أرى أن تدرِكوها .

فخرجَ الرِّجالُ يحمِلونَ رماحَهم وأسيافَهم ، ليُدافِعُوا عن أموالِهم ، ولم يتَخلَّفْ من أشرافِ قُرَيش إلا أبو لَهَب بن عبدِ المطَّلب ، وسار الرِّجال ، وكانوا تِسعَمائةٍ وخمسِينَ مُقاتِلا ، معهم مائتا فَرَسٍ يقودونَها ، ومعهم المُغَنِّياتُ يضرِبْنَ بالدُّفُوف ، واستمرُّوا فى سيرِهم ، ليُنقِذُوا تِجارَتَهم .

وخَرَجَ رسولُ اللّه من المدينة ومعه رايَتانِ سوداوان ، إحداهما مع علىٍّ بن أبى طالِب ،

والأخْرَى مع بعضِ الأنصار ، ولم يكن مع المسلمينَ إلاّ فَرَسان : فرسٌ للزُّبيرِ بنِ العوّام ، وفرسٌ للمِقْداد بنِ الأسْوَد . وسبعُونَ بَعِيرا ، وكان كلُّ ثلاثةٍ من الرِّجالِ على بعِير .

وبلغَ رسولَ اللّه أنَّ قُريشا قد خرجُوا ليمنعُوا عِيرَهم ؛ ولما لم يكن خارِجا للقِتال ، بل كان خارِجًا لِيستَولِىَ على قافِلةِ قريشٍ التى يقودُها أبو سُفيان ، استشارَ الناس ما يفعل ؟ فقام رجلٌ وقال :

- يا رسولَ اللّه ، امضِ لِما أراكَ اللّه ، فنَحنُ معك ، واللّهِ لا نَقُولُ لك كما قال بنو إسرائيلَ لموسى : اذهبْ أنتَ وربُّكَ فقاتِلا إنّا هنا قاعدون ، ولكنْ اذهبْ أنتَ وربُّكَ فقاتِلا ، إنا معَكما مقاتلون .

كان هذا الرَّجُلُ من المهاجِرين ، ولكنَّ رسولَ اللّه كان يُريدُ أن يَسْمَعَ رأىَ الأنصارِ ، فقال :

ــ أشِيرُوا عليَّ أيُّها النّاس .

فقال سعدُ بنُ مُعاذ ، وكانَ من ساداتِ الأنصار :

ــ واللّه لكأنَّكَ تُريدُنا يا رسولَ اللّه ؟

فقال رسولُ اللّه : « أجَلْ » .

فقال سعد :

ــ لقد آمَنّا بكَ وصدَّقناك ، وشهِدنا أنَّ ما جئْتَ به هو الحق ، وأعطَيناكَ عُهُودَنا ومواثيقَنا على السَّمعِ والطّاعِة لك ، فامضِ يا رسولَ اللّه لِما أرَدْت ، فنحنُ معك .

٥

نزلَ النبيُّ وأصحابُه عندَ ماء بدْر ، وبَنوا حَوضًا مُلِيءَ ماءً ، ونَظَرَ النبيُّ فرأى قُوّاتِ قريش ، فَنَظَرَ إلى

السَّماء وقال :

ـ اللَّهُمَّ هذه قُرَيشٌ قد أقبَلَتْ بخيلائِها وفَخْرِها تُحادُّكَ (أى تعاديك) ، وتُكَذّب رسولَك ، اللَّهمَّ فَنصْرَكَ الذى وَعَدْتَنِى .

وراح النبىُّ يدعوُ اللّه :

ـ اللَّهمَّ إنَّك إن تَهلِك هذه العِصابَةَ لا تُعْبَدْ فى الأرض ، اللَّهمَّ أَنْجِزْ لى ما وعَدْتَنِى ، اللَّهم نصرَك .

وتَواجَه المسلِمونَ وقُريش ، وأقسَمَ رجلٌ من قريش :

ـ أُعاهِدُ اللّهَ لأشْرَبَنَّ من حَوضِهم ، أو لأهْدِمَنَّه ، أو لأمُوتَنَّ دُونَه .

فلمَّا خرج وسار نحوَ الحَوضِ الذى بناهُ المسلمون ، خرجَ إليه حَمْزَةُ بنُ عبدِ المُطَّلب ، وضربَه بسيفِه ، فقطَع ساقَه ، ثم قتلَه عندَ الحَوض ، وعندَ

ذلك خرجَ ثلاثةٌ مـن أشرافِ قريـش ، وطلَبُوا مـن يُبارِزُهم .

صاحوا :

ـ يا محمَّد ، أخرِجْ إلينا أكفاءَنا من قَومِنا .

فقال النبىُّ ﷺ :

ـ قُم يا عُبَيدةُ بنَ الحارِث ، وقم يا حمزة وقم يا علىّ .

وبدأتِ المُبارَزة ، فقَتَلَ حمزةُ من كـان يُبـارِزُه ، ولم يُمْهِل علىٌّ الرجلَ الذى كان يُبارِزُه فقَتَلَه ، وانتصـرَ عُبيدةُ على مَن كـان يُبـارِزُه وقتلَـه ، قتـلَ ثلاثـةٌ مـن المسلمين ثلاثةً من ساداتِ قريش » .

وبـدأ أصحـابُ محمـدٍ ورجـالُ قريـشٍ يتراشـقونَ بالنّبال ، ثمَّ قال محمَّدٌ ﷺ لأصحابه :

– والذى نَفسُ محمدٍ بيدِه ، لايُقاتِلُهم اليومَ رجلٌ ، فيُقتَلَ صابِرًا محتَسِبًا مُقبِلا غيرَ مُدبِر ، إلاَّ أدخَلَهُ اللّــه الجنَّة .

وبَـدأتِ المَعرَكـة ، فمشـىَ الرِّجـالُ إلى الرِّجــال ، وارتَفَعَتِ السُّيوفُ وتضارَبَت ، وقُتِلَ أبـو جَهـلٍ فى المَعركة ، وراحَ أبطالُ المسلِمينَ يُعمِلونَ سِيُوفَهم فـى المشـرِكين ، فكـانت الـرُّؤوسُ تطيرُ عـن الأجسـام ، ورأى أهلُ مكة ساداتِهم قد قُتِلوا ، فَفَرُّوا ، وتَبِعَهُـم المسلِمُون ، فوقَع منهـم فـى الأَسرِ نـاسٌ كثيرون ، ووقعَ أُمَيَّةُ بن خَلَفٍ أسيرا ، ورآهُ بلال ، فَتَذَكّـرَ مـا كان يفعَله به فى مكة ، كان يُخرِجُه فى الصَّحـراء ، ويضَعُ عليه الصخرةَ الضَّخْمة ، لِيَكْفُرَ بمحمَّدٍ وإلـه محمد . فصاح بلال :

- رأسُ الكُفرِ أُميَّةُ بنُ خَلَف ، لا نَجَوْتُ إن نَجا .

وهجم عليه ، وضربَه بالسَّيف ، فكانَ آخِرَ من قُتِل من أشرافِ قريشٍ فى معركة بدر .

وألقَى المسلمونَ قتلَى قريشٍ فى القَلِيب ، وهو بئرُ بدر ، فوقَفَ رسولُ اللّه ﷺ عليهم وقال :

- يا أهلَ القَلِيب . هل وجَدْتُم ما وَعَدَكم ربُّكم حقًّا ، فإنِّى قدْ وَجَدْتُ ما وَعَدَنِى ربِّى حَقًّا .

فقال المسلمون : « يا رسولَ اللّه ، أتُنادِى قَومًا ماتُوا ؟ » .

فقال : ما أنتم بأسْمَعَ لِما أقُولُ منهم .

وانتهت غزوةُ بدرٍ بنصرِ المسلمين ، وكانت هذه الغَزْوةُ ضَرَبةً لقريش ، ونصرًا مُعظَّمًا لمحمَّد ، فكم من فِئةٍ قليلةٍ هزَمَتْ فئةً كثيرةً بإذن اللّه ، وقَدْ قالَ اللّه لأهلِ بدرٍ فى القرآن : ﴿ ولقَدْ نَصَرَكم اللّه بِبَدْرٍ ، وأنتم أذِلّة ، فاتّقُوا اللّه لعلّكم تشكُرون ﴾ .